شعر

كذئب منفرد (*)

محمد بنطلحة **

1. هكذا جرت الأمور

[في اليوم الموالي]

قبل أن أنام،
أخذت ورقة.
طويتها على هيئة قارب.
وكتبت: «بحر».
ثم نمت.
لم يحدث شيء.
ولكن، في جوف النوم، تحرك السرير.
وإذا بي في قارب.
الحيتان تملأ الغرفة.
والموج أمام النافذة.
هنيهة، وأمحو ما كتبت.
سأقلب القارب.
طلع النهار.

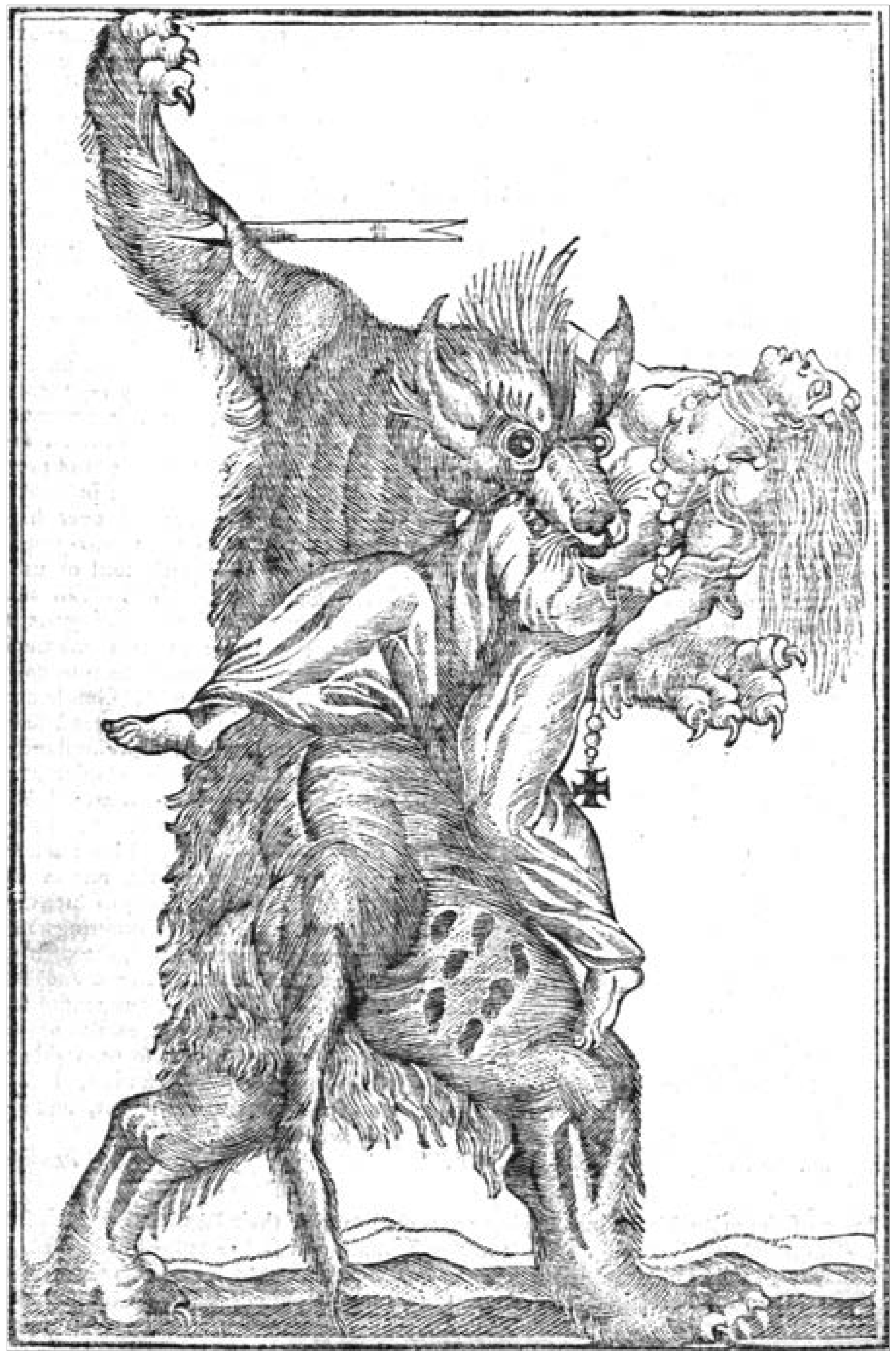

«اَلْمُسْتَذْئِبْ»
نقش لمجهول
يعود إلى القرن
18

2. كذئب منفرد

أنا أيضاً،
سوف أقتدي بالتوراة
وأكتب عن موتي قبل حدوثه.
انتظروا موتي.

انتظروا أن ينشق البحر،
فلا تظهر أي جزيرة، ولا حتى أي
قافية.
ولكن، أسلاك شائكة بين المد والجزر،
في أقل من ثانية.

مهما يكن:
لن أموت وأنا نائم.
ولن أخبر أحداً سواي.
أنا سواي.

قبل أن أموت،
سوف أهدم جميع البيوت،
سوى بيت واحد:
لغتي.

منفرداً عشت.
ومنفرداً أموت.
بلا مزايا، وبلا نعوت.
أنا الذئب الأخير.

3. طوبى للفراشات

أخيراً،
وجدت الحل.
صرت لا أخرج للصيد بالنهار.
أنام بالنهار.
وأصيد بالليل.
في الليل:
اللغة سلوقي يركض،
في كل اتّجاه،
أمامي.
العش الوحيد أنا.
والحظ السعيد، حيثما صوبت، عند
أقدامي.
كيف أتقيه وما أكثر الفخاخ،
والنسور،
والطرائد؟

4. حمام شمس، طوال الليل

لا بحر في فاس.
البحر في عيون امرأة أحبها.
وأحب أن يكون اسمها ها هنا:
تسليت.
يا للعباب:
زجاج،
وكبريت!
ويا للشواطئ!
يا لها حين أغمس قدمي في ليل
الدواة.
وأجري حافياً
فوق الحصى،
والقواقع،
والقشور،
والقناني!

لا لشيء،
فقط كي يزول الفرق بين الألفاظ
والمعاني

يا بحر!
ما الألفاظ، وما المعاني؟
ما الدهور، وما الثواني؟
ما أنت؟
ما تسليت؟
وما أنا؟

يا بحر!
لماذا إلى حد الآن: أنت هنالك.
وأنا هاهنا:
بين بين؟
الرمل ثمل
والزبد يقدم خطوة،
ويؤخر خطوتين.

5. قبر من أجل لا أحد

«A voir ce que l’on fut sur terre/ et ce qu’on laisse/ Seul le silence est grand؛/ tout le reste est faiblesse.»
Alfred de Vigny

منذ سنوات بعيدة
وأنا أتردّد،
كل صباح،
على مقبرة فرعونية اخترت أن يكون
لي
أكثر من قبر
فيها.

ثم
- بالصدفة، هذا الصباح -
اعترضني،
في أرض خلاء،
قبر ضيق،
ولكن،
ما يزال شاغراً.
لا تحرسه نسور، ولا ثعالب.
كالطلل البالي، ليس فوقه لا نقوش،
ولا بعر آرام.
وليس من حوله شيء،
ما عدا حطام كاس.
ونسر يحلق فوق الحطام.
ثم شاهدة
- كالصليب
كلّما حركت سبابتي سقط الصليب،
ونحت الغبار فوق الشاهدة:
ها هنا
يرقد جثمان شاعر مجهول.
قبر آخر في انتظاره.

كان هذا منذ سنوات بعيدة،
ثم ظهر،
بعد فحص الحمض النووي،
ما يلي:
الأرواح بطاريات.
والأجساد قطع غيار.
والدليل أن الشاعر المجهول ها هنا
قد يكون هو: محمد بنطلحة،
وقد يكون هو طرفة بن العبد،
أو صلاح فائق،
أو خورخي بورخيص،
أو
- كذلك،
- لوفرة الاحتمالات
لا أحد.

6. المرأة التي هزمتني

في ليل الدواة،
وبينما أنا أنثر أمام قدميها
عشب الخلود،
تنهدت.
وقالت:
أنا لست استعارة.
أنا كمين نصبته لك الطبيعة، تحت
اللسان.
وأنت رأيت الكمين.
ولم ترني.

أأنت ذئب السهوب؟
أم أنت – فقط – قناص استعارات
في ليل الدواة؟
أنا الحبر إذن.
سبابتي محرك بحث.
Wikipedia جدتي.
وGoogle حفيدي.

اضغط هنا.
اضغط مرتين
وأنت ترى أن كل ما كتبته أنت،
ولا سيما عني أنا،
سبق أن كتبه شاعر كدت أقول: أخير،
لولا أنه ما زال يمارس هوايته المفضلة:
القفز بالزانة،
في رحم اللغة.

دعك من اللغة.
دعك حتى من الرمز،
والقناع،
والأسطورة.
دعك من كل هذا.
وقل بلسان غير مشقوق: لماذا ظلمتني؟
أنا منحتك لذة النص في الحين.
وأنت حكمت عليّ بالانتظار،
مدى الحياة.
لماذا؟
لماذا؟

7. فراق في محطة الرمل

هايكو.
إبريق.
وناي.
الرمل في حلقي يرتل سيرته التي
ابتدأت منذ ألف عام.
الحمامة سافرت.
والهديل أيقظني.
ثم نام.

8. طريق الحرير

حتى أنت، يا بلقيس.
كم خريطة طريق رسمنا فوق الماء،
ثم جرى الماء،
ولم يبق منها
- بين عينيك -
ولا واحدة.
حتى طريق الحرير،
صار
مقبرة.

9. الشفة السفلى

على الأرجح،
سوف أموت وأنا أبتسم.
ليس للملائكة.
ولكن،
للنساء اللواتي يتربعن على
الجهات الست،
واللواتي يبتسمن في المتاحف،
وفي الساحات العامة،
بشفة واحدة:
العليا.

هكذا هي الدنيا:
ذلك النحات الإغريقي النحيل
تفنن في كل شيء.
ثم حين تمتم،
وانحنى ليضع اللمسة الأخيرة
فوق شقوق الشفة السفلى،
تنهد.
ثم
مات.

10. الرقصة ما قبل الأخيرة

وراء الكثبان،
كل شيء تجسد في قدح وجرة.
القدح من أشور.
والجرة من كنعان.
يا لها من سكرة!
حتى السماء جثت عند أقدام
الراقصة،
في خطوة ناقصة.
الأوتار ترنحت.
والعيون سافرت وراء الكثبان.
سافرت. ولم تعد،
إلى الآن.

11. حيث يوجد بحر يوجد قراصنة

قرأت هذا
في الفصل 25 من الأوديسا.
هل أجادل المنجمين،
والغرقى؟

صحيح إذن.
ولكن، في الطرة:
للحقيقة المرة،
كان ذلك قبل أن تفقد الطبيعة
- على أيدي القراصنة -
كل شيء.
ولا سيما النطق،
والذاكرة.
وأما الآن، فالزبد شاهد زور.
والعواصف
- على الأرجح -
رسائلنا الغرامية. ولكن، ما تزال
بخط اليد

12. في نقد الحاجة إلى الألم

الألم،
حين تعجز تاسوعات أفلوطين
عن دفع اليابسة إلى الجهة الأخرى
من الزمن.

الألم،
هنالك:
عند الشريط الحدودي
بين اللاهوت
والناسوت.

الألم،
كأي شاعر يصيد البط، بتعويمه
في مستنقعات المعنى.

الألم،
مثلما كان الرماد في نص قديم:
هائماً
على
وجهه،
بين ثلج في سن المراهقة،
وفكرة مصابة بالألزهايمر،
وسرطان الثدي.

الألم،
حين لا أثر للفراشة.
فقط ريشة في يدي.
وفي رأس الريشة:
قطرة
من
مداد.
أأكتب؟
ماذا سأكتب والفراشة
حول عنقي؟

13. ثقوب زرقاء

تعبت.
سوف أنقل البحر إلى حفرة.
وأستريح:
من الهدير،
والزعانف،
وأخبار الغرقى.

أيتها الريح!
لك الآن أن تعربدي في ثقوب القصب.
عربدي.
ولكن،
لا تقولي أي شيء
لا للقراصنة،
ولا للغرقى.

14. أأنا آخر؟

من عساي؟
كلّما نظرت إلى المرآة لا أرى وجهي،
ولكن قفاي.
وكلما نظرت إلى صفحة الماء
أرى وجه القمر،
ولا أرى وجهي.
قلت: أكتب.
وحين كتبت.
ثم قلبت الصفحة،
رأيت كل شيء، ولا سيما وجهي،
وقفاي.
رأيتني.
ورأيت آخرين يتناوبون على وجهي،
وينشبون شصوصاً كثيرة
في
قفاي.

15. عسل يسيل من بين الشقوق

في قبو.
نحل هائج، من وراء أسلاك شائكة
تحيط
بالحقول الدلالية
للنص.
المقل ترتعش.
والشفاه تشرئب،
منذ أول دالية فوق هذه الأرض،
إلى أن تنضج جميع عناقيد العنب.
ثم يغلبها الضوء، فتتخلى عن كل
إشارة،
وكل معنى.

حتى الضوء سوف يفنى.
وما بقي منه سوف يشتعل من
جديد، وينعكس
من بين شقوق النص:
في كل مقلة،
وكل شفة،
وكل فنجان.
أي قبو هذا!
ليتني ما مت!
ليتني، فوق هذه الصفحة، سكير!
وفوق الصفحة الموالية، صاحب
حان!

(*) منتخبات من ديوان بالعنوان نفسه، صدر عن منشورات «فضاءات مستقبلية»، الدار البيضاء، 2019.

(**) فاس/المغرب

فصلٌ من رواية

النوم في حقل الكرز (*)

أزهر جرجيس

تذكرتُ، وأنا بين القبور، جاريَ العجوز، ياكوب يوندال. كانت بلدية أوسلو قد منحتني، آنذاك، شقةً صغيرة في الطابق التاسع من عمارة فينوس. وكانت عمارة مخصّصة للمتقاعدين وكبار السن، تقع وسط ضاحية هيليرود شرقيّ العاصمة. إلى الآن لم أفهم لماذا اختيرت لي من بين مئات العمائر التي تطرّز وجه المدينة! كنت الشاب الوحيد بينهم، وكانت شقة العجوز ياكوب، الذي تجاوز الثمانين بعامين، قبال شقّتي تماماً. طرقت بابه يومَ وصلت، لألقي عليه التحية، أملاً بالتواصل:

● صباح الخير سيّد ياكوب، أنا سعيد، جارك الجديد.
● صباح الخير، أهلاً سـ..
● سائيد، اسمي سائيد.
● أهلاً بك سائيد.

منتهى المهانة أن تضطرّ إلى تكسير اسمك من أجل أن يفهمه الآخرون.. سائيد! يا للخيبة!

أخبرني السيّد ياكوب، فيما بعد، بأنه ينوي رمي بعض الأثاث الزائد عن الحاجة، وطلب مني أن أساعده في ذلك، فوافقت. التخلص من الأثاث القديم، والأجهزة العاطلة، والأفرشة الخارجة عن الخدمة، لا يتم بالمجّان في النرويج. عليك أن توصل ما تنوي رميه إلى محطات تدوير النفايات، ثم تدفع مبلغاً مقابل ذلك، وإلا فستترتب عليك غرامة مالية إن رميتها في الطريق.

استأجرت شاحنة وحمّلت فيها ما قرّر جاري الاستغناء عنه، ثم رميته في محطة جمع النفايات. أهداني حينها مصباحاً أنيقاً، وطبقاً من ثمار الكرز، كعربون جيرة وامتنان، وصار يطرق بابي كلما دفعته الحاجة للشعور بأنّه على قيدِ الحياة. لم أرَ، على مدى سنتين كاملتين، أحداً يزوره، رغم أنّ لديه ثلاثة أبناء وأختَين. أخبرني بأنه يحتفل في عيد ميلاده وحيداً، وأن أبناءه يكتفون بتهنئته على الهاتف. أخذت أقيم له من بعد ذلك حفلة ميلاد صغيرة، أدعو إليها عجائز الطابق التاسع. أما في أيام العطل وحين تكون الدنيا ربيعاً، فكنت أصنع لأجله تِرْمِزَ شاي وقالب كيك هشّاً، وأصطحبه في نزهة إلى الحديقة العامة. صحوت ذات يوم على صوت سيّارة إسعاف عند باب العمارة. هرعت إلى النافذة. رأيت المسعفين يحشون مؤخُرة الإسعاف بسدية بيضاء، ينام فوقها السيّد ياكوب يوندال مطمئناً، كمن ضمنَ النجاح في امتحان الباكالوريا. لقد عثرتْ عليه عاملة التنظيف ميتاً فوق كرسيّه الهزّاز في الصالة. أتذكر بأنّي فرشت في مساء ذلك اليوم على مصباحه قماشة سوداء، حداداً عليه. وفيما بعد ذهبت إلى المقبرة، ووضعت إكليل وردٍ على قبره الأنيق في حقل الكرز.

كان ياكوب قد اشترى حقلاً للكرز في طرف المدينة، وأوصى أن يدفن فيه بعد مماته. سألته حينها:

● سيّد ياكوب، لماذا تريد الدفن في هذا الحقل؟

فقال وهو يمضغ ثمرة كرز برويّة وتلذّذ: — تقول أسطورة قديمة بأنّ الإنسان يتحوّل بعد الموت إلى موجودٍ آخر يتلاءم مع ما حوله، فإن دُفن في الجبال تحوّل إلى صخرة، وإن دُفن في البحر صار سمكة، وإن دُفن في الصحراء غدا رملة، لذا قرّرت أن أدفن في حقل الكرز كي أتحول إلى شجرة كرز.. المجد لمن نام في حقل الكرز.

لا أدري إن كان جسد جاري الطيّب هذا، قد تحلّل وأمسى شجرة كرز أم لا، لكنّي على يقين بأنّ روحه تنام بسلام وطمأنينة في ذلك الحقل. آه، لولا الطغاة لكان أبي الآن نائماً في قبر كقبر السيّد ياكوب، ولربما تحوّل إلى نخلةٍ شاهقة أو شجرة سدر وارفة الأغصان، قلتُ في سرّي مواصلاً المشي بين القبور. كنتِ أسير ببطء، يقود خطواتي ضوء مصباح واهن. قطعت مسافةً طويلةً حتى وصلت الشارع العام. رفعت يدي لعلّ أحدهم يقف وينتشلني من ورطتي في ليلة المقابر المعتمة. شرعت المساجد بقراءة القرآن، وبدأ الفجر يقترب. توقفتْ، أخيراً، سيّارة أجرة حديثة، وعرض عليّ صاحبها المساعدة. أخبرته بأنّي غريب، لا أملك المال، وأريد الذهاب إلى بغداد، وأنّي سوف أعطيه، حين أصل، ما يطلب، فوافق السائق الرحيم وأقلّني.

أنا الآن في بغدادَ يا أبي، أنام في أحد فنادقها كما يفعل الغرباء. أنظر إلى صورتك المتكئة على الكومودينو، غير المعلّمة بشريط أسود، وأوقد لك شمعة. لا حاجة بك إلى أشرطة الموتى، إذ لا يشك من يرى صورةً لعظامٍ تصطفّ أسفلَ جمجمة بأن صاحبها ما زال يشم الهواء. هواءُ بغداد التي تعرف لم يعد نقياً يا أبي، لقد عفّنته حرب الهويّات. أوغاد طائفيون يتراقصون فوق صدرها، ويضعون الملح على جرح خاصرتها. هل أخبرتك بأنّ صورة من دسّك تحت التراب، وأنت حيّ، قد مُزّقتْ؟ وأنّ تمثاله الشاهق تداعى وصار عربة لركوب الصغار؟ لكنّ الصورة باضت ألف صورة، والتمثال فرّخ ألف تمثال. لقد باتت لدينا يا أبي صورٌ وتماثيل بعدد الخراف في قارة استراليا. والغريب في الأمر أنّ ما من واحدٍ من هذه الخراف إلا وعُلّقتْ على صدره شارة القداسة، هل تصدّق؟ وكأنّ البلاد قد تحوّلت إلى مفقسة للخراف المقدّسة.. وكأنّ أحدهم خطّ على بابها: هنا مفقسة المقدّسات! أما قصور الطاغية، عليه ما على الطبل يومَ العيد، وبيوته ومقارّ حزبه وأوكار تابعيه، فقد تحوّلت إلى قصور طغاةٍ صغار وأوكار تابعين خدّج ومقارّ حزبية مباركة. لقد أصبح لدينا مقرّات حزبيّة بعدد مطاعم السوشي في جمهورية الصين الشعبية. ولعلّ هذا لفرادتنا وتميّزنا، ففي كلّ البلدان التي سقط طغاتها تحوّلت قصورهم ومقرّاتهم إلى متاحف لأخذ العبرة، أو دور لرعاية الأيتام، أو مخازن للحنطة على أقل تقدير، إلا نحن، فقد حوّلنا المقرّات إلى مقرّات، والله وليّ التوفيق! ألم أقل لك بأنّنا شعب فريد ومغاير؟!

آه يا أبي! إنّ الظلام الذي كنتَ، بصحبة رفاقك، تحاولون إيقاد شمعة لتبديده، ما زال يغلّف البلاد ويحيط بأوكارها. ما زال ذاك الظلام حاكماً، وما زال الأوغاد يضحكون على ذقوننا ويمصّون، مثل البعوض، دماءنا، تحت يافطات جديدة لا تقل سخفاً عما قبلها. لا أريد أن أثقل عليك، فما فيك يكفيك، لكنّي أودّ أن أصارحك بأنّك قد فشلتَ مرّتين، مرةً في حياتك، ومرّة في مماتك، فلا حياتك حياة ولا مماتك ممات! وأنّي، عذراً يا أبي، لا أريد أن أكون فاشلاً مثلك، لذا قرّرت الرحيل.

كنت أخشى أن أغدو كوم عظام في كيس أسود، أن أتناثر على الطريق، وتدهس رأسي شاحنةٌ مسرعة. كنت خائفاً من تكرار المأساة، وأن لا تمنحني بغداد قبراً أنام فيه بسلام، كما فعلتْ مع أبي، لذا قرّرتُ الرحيل من جديد. لكنّي سأرحل هذه المرة بحثاً عن موتٍ لائق، لا عن حياةٍ لائقة. سأبحث هناك، في بلاد المرضيّ عنهم، عن موتةٍ رحيمة، لا تكون على يد صبيانٍ مدجّجين بالجهل المقدّس والعقائد الفتّاكة. سأفتش عن قبرٍ كقبر جاري، السيّد ياكوب يوندال، لكي أنام فيه بسلام وطمأنِينة. سأعود إلى النرويج من أجل النوم في حقل الكرز.

(*) الفصل الأول من رواية صدرت عام 2019 عن دار الرافدين، بيروت. القائمة الطويلة لـ «بوكر» 2020.

نص

رسالة إلى ريلكه

تغريد مروان عبد العال *

عزيزي ريلكه،

أتحدث إليك وأنا أخرج من صمتي إلى كتابة رسالة لك والتي كانت مجرّد لغة تعلقُ في حنجرتي وأحتاجُ أن ألقي بها في الخارج مثل عُصفور. حين بدأتُ في قراءة العالم من حولي، العالمُ الّذي يتكوّن من أكثر من لغة، وتشتبكُ فيه اللغات وتتواجه وتتصارع، بينما يأتي الشاعر بصمت لينسج لغته الخاصة.

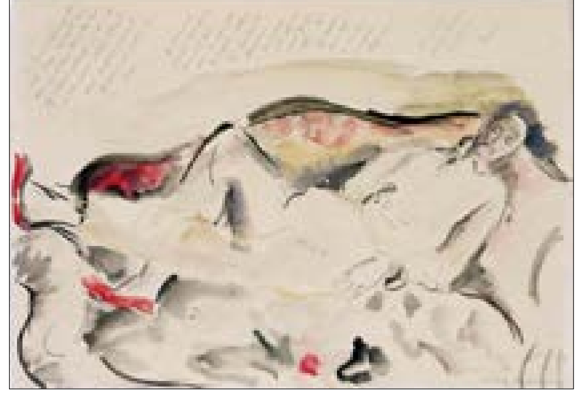

بَالَادِينْ كْلُوسُوفْسْكَا ـ «التّأمّل الدّاخِلي لِرِيلْكَهْ» (ألوان مائية على ورق، 1921)

أنظر إليه أحياناً كمتفرجة، وأحياناً أصرخ وأغادر الغرفة التي أسمع فيها لغة تأتي من زمن آخر لتذكرك أنك لست إلا صورة مجازية أو كلمة جامدة في النص.

قرأت كتابك «رسائل إلى شاعر شاب»، وصرت أرى العزلة مثل غرفة وحيدة في العالم، فأنا كلاجئة، أعيش بين أكثر من لغة وأكثر من عالم، كان المخيم لغتي الأولى، ثم المدينة، ثم ما بينهما من تمازج وعناق وأحياناً ذلك الخصام والانفصال. أتنقل بينهما وأتلمس الأزقة التي ترتبك وتتركب.

ربما كنت أبحث عن الشعر في أشياء أخرى، فذهبت إلى الرسم، وجدت أن الخطوط الكثيرة التي أرسمها، إنما هي تلك الطرقات التي سلكتها في حياتي بحثاً عما يشبهني، فشعرت أن الحديث عنها لم يعد يجدي، بل إنها أجمل حين تأخذ فراغاً يكوّرها ويحضنها وتكون عالمها الخاص. هل هي لغة وحيدة؟ ربما.

تحولت عزلتي في الفترة الأخيرة إلى مجموعة من النوافذ، كل نافذة تطل على حديقة من النجوم، بعض النجوم يزعج القلب، وبعضها يضيف إلى ليلي كلمات تجعله يمشي إلى ليل آخر وأنت تقول في قصيدة لك : «يا نافذةً نبحث عنها غالباً/ لكي نضيف إلى الغرفة المحسوبة/ كلَّ الأرقام الكبيرة غير المروَّضة/ التي يُضاعِفُها الليل» أبحث عن تلك النافذة الناقصة، التي لا تطلّ على مخيم ولا على مدينة، النافذة التي أدخل منها إلى داخل الأشياء، وأغرق في قلبها الواسع، وربما أحتاج لتلك النافذة التي يخرج منها قلبي ليلقي على العالم قلوباً كثيرة.

---

* لبنان/ فلسطين